صبري، مسعود.
زكريا ويحيى عليهما السلام
إعداد/ مسعود صبري، ـــ الجيزة
شركة ينابيع، 2010
ص؛سم ـــ (سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين)
تدمك: 1 054 498 977 978
١- قصص الأنبياء.
٢- قصص القرآن
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة
رقم الإيداع: 2010/22588

زكريا ويحيى
ويعقوب وذو الكفل وإلياس وإدريس
عليهم السلام

إعداد/ د. مسعود صبري
رسوم/ محمد نبيل - تلوين/ شريف محمد
جرافيك/ منى محمد أمين
عبير صبحي البحيري
مراجعة لغوية/ إيمان الديب

فِي زَمَنِ نَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وُجِدَ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، اسْمُهُ عِمْرَانُ، وَكَانَ صَدِيقًا لِنَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا لا يُنْجِبُ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ رَأَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ طَائِرًا يُطْعِمُ وَلَدَهُ فِي فَمِهِ، وَيَسْقِيهِ الْمَاءَ، وَيَأْخُذُهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ؛ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِ، فَتَحَرَّكَتْ فِيهَا مَشَاعِرُ الأُمُومَةِ، وَأَخَذَتْ تُصَلِّي لِلَّهِ، وَتَدْعُوهُ أَنْ يَهَبَهَا وَلَدًا صَالِحًا، وَنَذَرَتْ إِنْ رَزَقَهَا اللَّهُ الْوَلَدَ أَنْ تَهَبَهُ خَادِمًا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ.

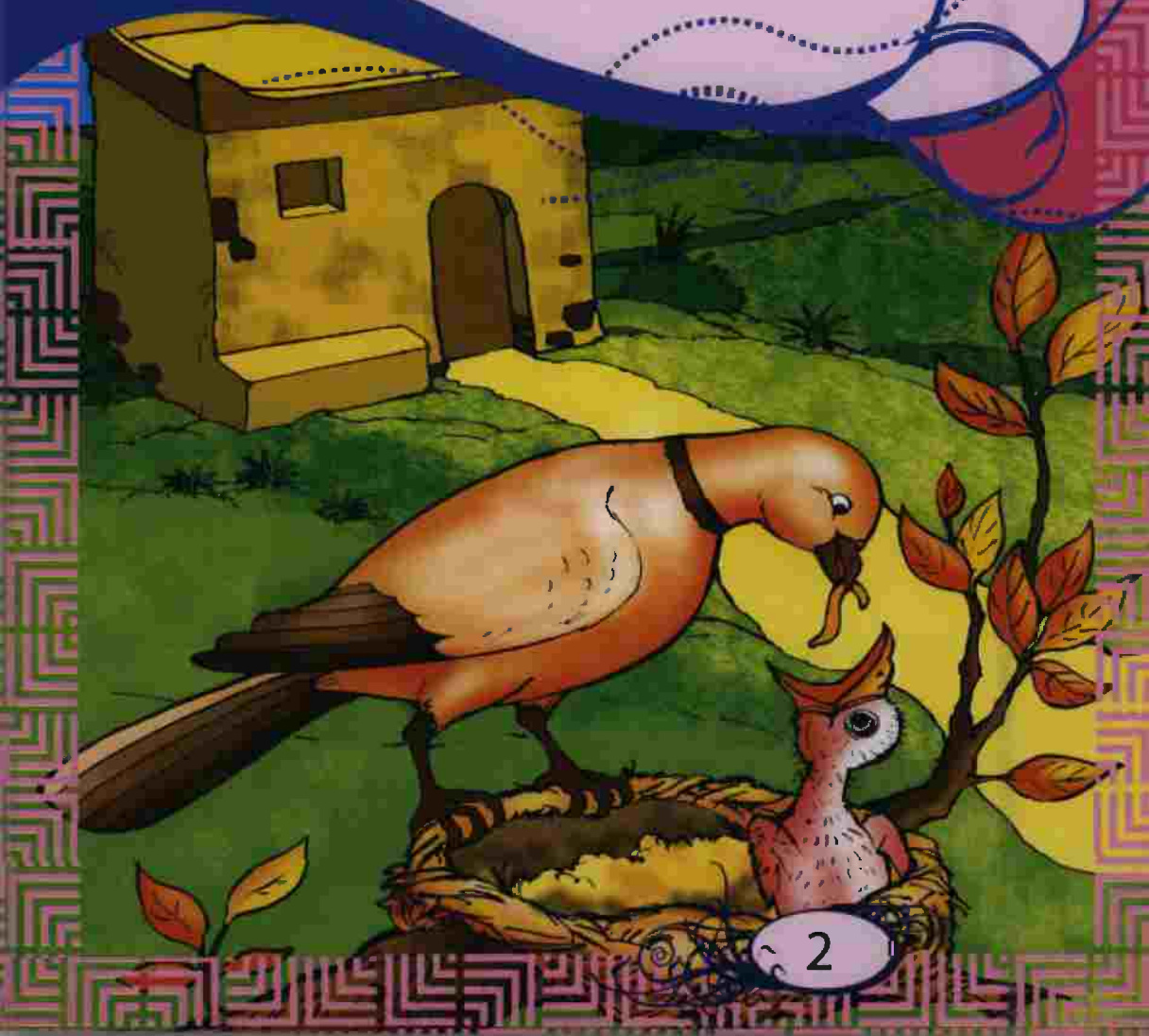

اسْتَجَابَ اللَّـهُ دُعَاءَ زَوْجَةِ عِمْرَانَ، فَقَدْ أَحسَّتْ بِالْحَمْلِ، وَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا، الَّذي رَاحَ يَسْجُدُ للَّـهِ شُكْرًا، وَيُكْثِرُ مِنْ عِبَادَتِه، لأَنَّهُ سَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِوَلَدٍ، وَمَضَتِ الأَيَّامُ وَالشُّهُورُ، وَقَبْلَ أَنْ تَلِدَ زَوْجَةُ عِمْرَانَ، مَاتَ زَوْجُهَا، فَكَانَ يَوْمَ حُزْنٍ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا، فَقَدْ مَاتَ عَالِمُهُمْ عِمْرَانُ، وَبَكَى عَلَيْهِ الْجَمِيعُ، وَحَزَنَ عَلَيْهِ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حُزْنًا شَدِيدًا، وَخَاصَّةً أَنَّ امْرَأَتَهُ حَامِلٌ، وَهِيَ عَلَى وَشْكِ الْوَضْعِ، وَلَكِنَّهُ قَدَرُ اللَّـهِ.

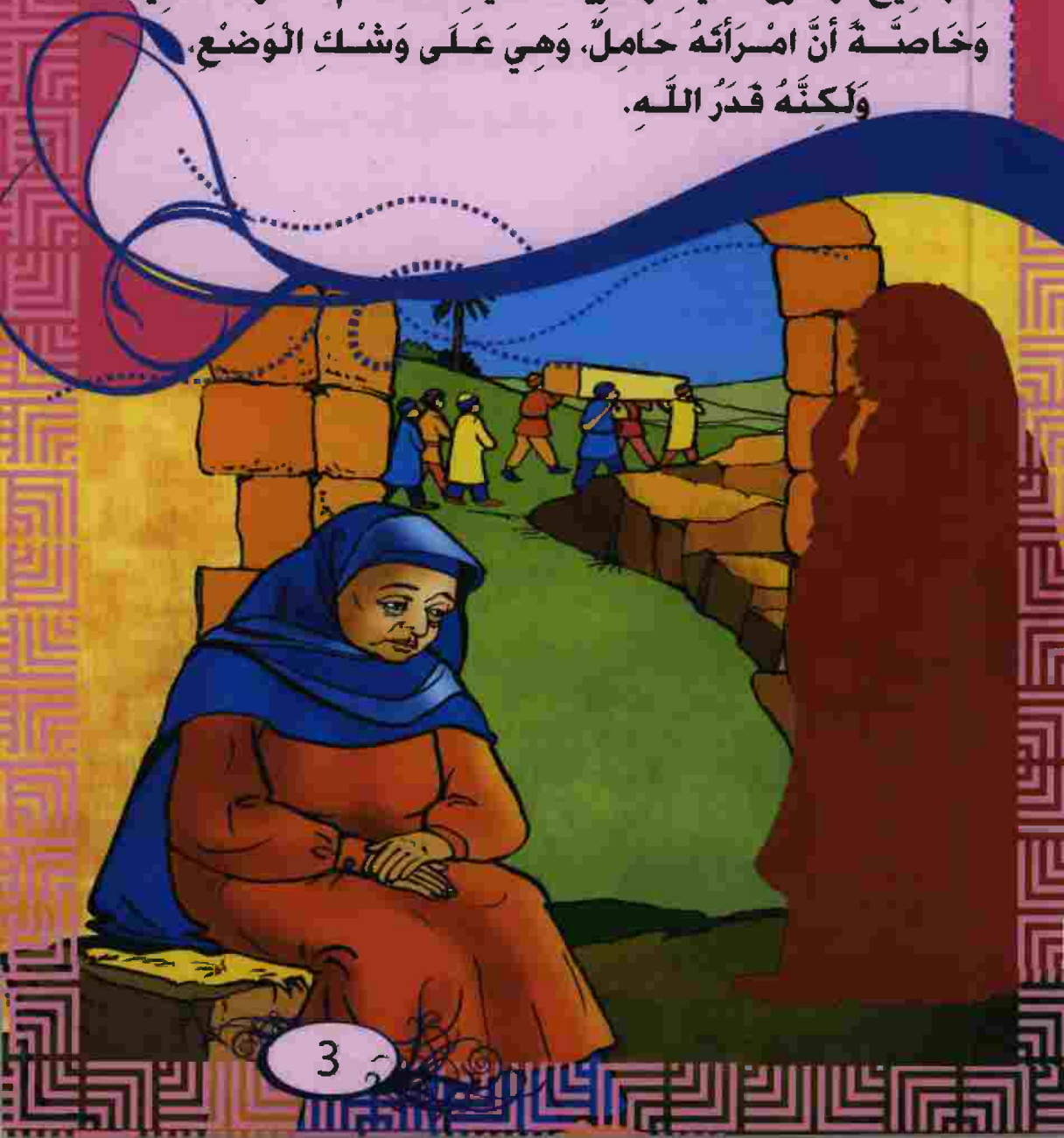

وَأحسَّتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ بِآلامِ الْوَضْعِ، فَقَدِ اقْتَرَبَ وَضْعُهَا، وَمَا هِيَ إلاَّ أيَّامٌ حَتَّى وَضَعَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ أُنْثَى، وَكَانَتْ تَتَمَنَّى وَلَدًا، لِكَيْ يَكُونَ خَادِمًا لِلْمَسْجِدِ الأقْصَى، وَنَظَرَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَلْبُهَا يُكَلِّمُ اللَّهَ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى، وَنَسِيَتْ أَنَّ اللَّهَ أعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَكِنَّ زَوْجَةَ عِمْرَانَ أَصَرَّتْ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ، فَقَدْ وَهَبَتْ ابْنَتَهَا الَّتِي سَمَّتْهَا مَرْيَمَ، لِتَكُونَ خَادِمَةً لِلْمَسْجِدِ، فَسَلَّمَتْهَا لِشُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعُلَمَائِهِمْ.

وتَسارَعَ عُلَماءُ بَني إسرائيلَ؛ عَلَى كَفالَةِ مَرْيَمَ، وَحاوَلَ زَكَرِيَّا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَأخُذَها؛ فهُوَ مُتَزَوِّجٌ خالَتَها، وَلَكِنَّ مُعْظَمَ الْعُلَماءِ أصَرُّوا عَلَى إجْراءِ قُرْعَةٍ، فَوَضَعُوا مَرْيَمَ وَالأقْلامَ بِجِوارِها، وَأتَى طِفْلٌ صَغيرٌ، فَأخْرَجَ قَلَمَ زَكَرِيَّا، وَلَكِنَّهُمْ أعادُوا الْقُرْعَةَ، فَوَضَعُوا الأقْلامَ في الْبَحْرِ، فَمَنْ سارَ قَلَمُهُ خِلافَ اتِّجاهِ الْمِياهِ أخَذَها، فَكانَ زَكَرِيَّا، ثُمَّ أجْرَوْا قُرْعَةً ثالِثَةً، فَمَنْ سارَ قَلَمُهُ وَحْدَهُ مَعَ اتِّجاهِ تَيَّارِ الْمِياهِ أخَذَها، فَكانَ قَلَمُ زَكَرِيَّا، فَأخَذَها زَكَرِيَّا لِكَفالَتِها.

كَفَّلَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلامُ- مَرْيَمَ، وَقَدْ جَعَلَ لَهَا مَكَانًا خَاصًّا بِالْمَسْجِدِ، وَكَانَ لَهَا مِحْرَابٌ خَاصٌّ بِالصَّلَاةِ، وَكَانَ زَكَرِيَّا يَدْخُلُ عَلَيْهَا كُلَّ فَتْرَةٍ، فَكَانَ يَجِدُ عَجَبًا، كَانَ يَرَى فَاكِهَةَ الصَّيْفِ عِنْدَ مَرْيَمَ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، فَسَأَلَهَا: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا؟ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتَوَجَّهَ زَكَرِيَّا إِلَى رَبِّهِ بِالدُّعَاءِ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صَالِحًا، يَحْمِلُ النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي،
وَبَيْنَمَا كَانَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ-
قَائِمًا يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ، نَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ: أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى وَلَدًا لَكَ، وَنَبِيًّا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَتَعَجَّبَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ، وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا، وَقَدْ كَبُرَ سِنِّي؟ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ: هَذَا هُوَ أَمْرُ اللَّهِ، فَاللَّهُ خَلَقَكَ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ وُجُودٌ. فَرِحَ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ، وَطَلَبَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيَةً، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْكَلَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ زَوْجَتَهُ أَصْبَحَتْ حَامِلًا، وَعَلَيْهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ صَبَاحًا وَمَسَاءً.

وَفِي يَوْم مِنَ الأيَّام خَرَجَ زَكَرِيَّا -عَلَيْه السَّلامُ- لِيُحَدِّثَ قَوْمَهُ وَيَدْعُوهُمْ، وَلَكِنَّهُ فُوجِئَ أَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ الْكَلاَمَ، فَأَشَارَ إِلَى قَوْمِه أَنْ يُسَبِّحُوا اللّـهَ فِي الْفَجْرِ وَالْعشَاءِ، وَرَاحَ هُوَ يُسَبِّحُ اللّـهَ ـ تَعَالَى ـ بِقَلْبِه. وَمَرَّت الأيَّامُ، وَجَاءَ الْوَقْتُ الَّذي وَضَعَتْ فِيه زَوْجَةُ زَكَرِيَّا. وَفرِحَ زَكَرِيَّا وَزَوْجَتُهُ بِيَحْيَى، فَاعْتَنَى زَكَرِيَّا -عَلَيْه السَّلامُ- بِوَلَده مُنْذُ الصِّغَر، وَرَبَّاهُ تَرْبِيَةً صَالِحَةً، فَلَمْ يَكُنْ يَلْعَبُ كَمَا يَلْعَبُ بَاقِي الصِّبْيَةِ، بَلْ كَانَ مُنْذُ الصِّغَرِ طَائِعًا للّـه ـ تَعَالَى ـ، فَكَانَ يُشَاهِدُ الأطْفَالَ فِي سِنِّه، وَلاَ يَلْعَبُ مَعَهُمْ. فيَقُولُونَ لَهُ: لِمَ لاَ تَلْعَبُ مَعَنَا؟ فيَرُدَّ عَلَيْهِمْ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ-: إِنَّ اللّـهَ لَمْ يَخْلُقْنَا لِلَّعِب.

وَكَبُرَ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- وَأصبَحَ شَابًّا حَلِيمًا عَابِدًا يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الإِيمَانِ، وَإِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ. وَذَاتَ يَوْمٍ، جَمَعَ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ صَعَدَ الْمِنْبَرَ، وَخَطَبَ فِي النَّاسِ، وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَأَلاَّ يُشْرِكُوا بِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَذِكْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَتَأَثَّرَ الْحَاضِرُونَ بِبَلاَغَةِ نَبِيِّ اللَّهِ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- فَكَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِمْ، وَيَقُومَ فِيهِمْ خَطِيبًا.

وَكَانَ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- يُحِبُّ الْعُزْلَةَ وَالانْفِرَادَ، وَأَنْ يَخْتَلِيَ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَذْهَبُ إِلَى الْبَرَارِي وَالصَّحَارِى؛ يَعْبُدُ اللَّهَ ـ تَعَالَى ـ وَيَتَأَمَّلُ فِي خَلْقِ اللَّهِ: لِلسَّمَاوَاتِ وَعُلُوِّهَا، وَالأَرْضِ وَانْبِسَاطِهَا، والأَشْجَارِ وَثِمَارِهَا، وَالصَّحْرَاءِ وَخِلاَئِهَا؛ فَيَزْدَادُ إِيمَانُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ يَدْعُوهُمْ إِلَى مَا تَعَلَّمَ أَثْنَاءَ الْعُزْلَةِ عَنْهُمْ.

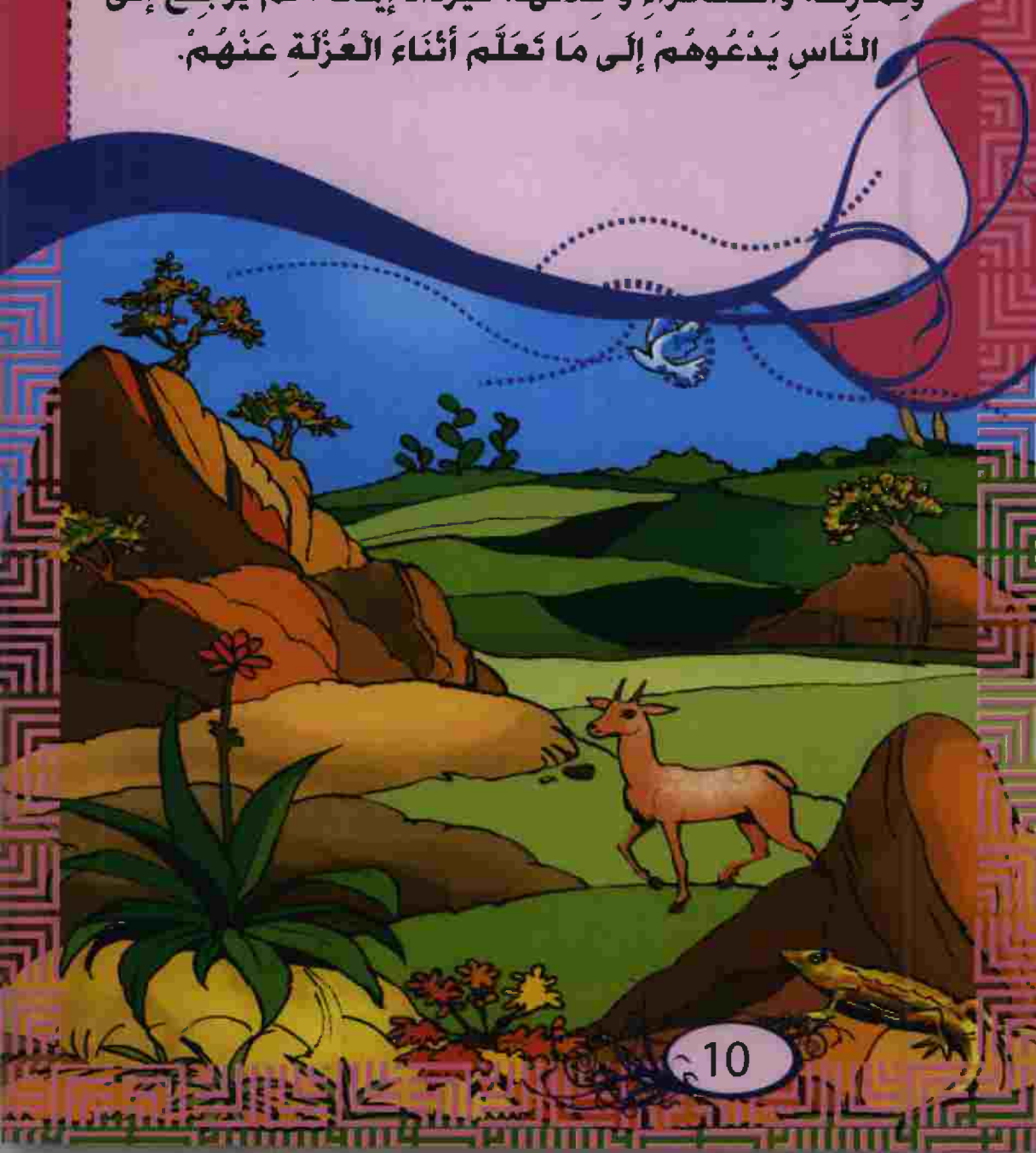

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- ظَهَرَ لَهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ فَرَأَى يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- عِدَّةَ مَعَالِيقَ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ. فَسَأَلَهُ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ-: يَا إِبْلِيسُ، مَا هَذِهِ الْمَعَالِيقُ؟ فَقَالَ إِبْلِيسُ: هَذِهِ الشَّهَوَاتُ الَّتِي أُصِيبُ بِهَا بَنِي آدَمَ. فَقَالَ يَحْيَى: وَهَلْ لِي فِيهَا شَيءٌ؟ فَقَالَ إِبْلِيسُ: رُبَّمَا شَبِعْتَ فَشَغَلْنَاكَ عَنِ الصَّلاةِ وَالذِّكْرِ. فَقَالَ يَحْيَى: للَّهِ عَلَيَّ أَلاَّ أَمْلأَ بَطْنِي مِنْ طَعَامٍ أَبَدًا. فَقَالَ إِبْلِيسُ: وَللَّهِ عَلَيَّ أَلاَّ أَنْصَحَ مُسْلِمًا أَبَدًا.

وَكَانَ مَلِكُ فَلَسْطِينَ آنَذَاكَ يَعْرِفُ قَدْرَ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- فَكَانَ يَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِهِ، وَكَانَ لِهَذَا الْمَلِكِ بِنْتُ أَخٍ تُعْرَفُ بِالرِّقَّةِ وَالْجَمَالِ، فَأَرَادَ هَذَا الْمَلِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا؛ فَاسْتَشَارَ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- فِي زَوَاجِهِ مِنْهَا، فَقَالَ يَحْيَى: إِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لَكَ. وَعُرِفَ حُكْمُ يَحْيَى، وَسَمِعَتْ بِهِ أُمُّ هَذِهِ الْفَتَاةِ، فَسَقَتِ الْمَلِكَ خَمْرًا، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِرَأْسِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- فِي طَسْتٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَرَفَضَ الْمَلِكُ، وَخَافَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ، حَتَّى أَمَرَ الْجُنُودَ بِقَتْلِ يَحْيَى -عَلَيْهِ السَّلامُ- فَعَاقَبَهُ اللَّهُ وَأَهْلَكَهُ.

يَعْقُوبُ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-

وَرَدَتْ بُشْرَى وِلاَدَةِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ لِجَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ يُلَقَّبُ بِإِسْرَائِيلَ، وَلَقَدْ ذَكَرَ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَصِيَّتَهُ لأَبْنَائِهِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِعَقِيدَةِ الإِسْلاَمِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

مَاتَ يَعْقُوبُ وَهُوَ يَسْأَلُ أَبْنَاءَهُ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَيَطْمَئِنُّ عَلَى عَقِيدَتِهِمْ، وَ قَبْلَ مَوْتِهِ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بَلاَءً شَدِيدًا فِي ابْنِهِ يُوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ.

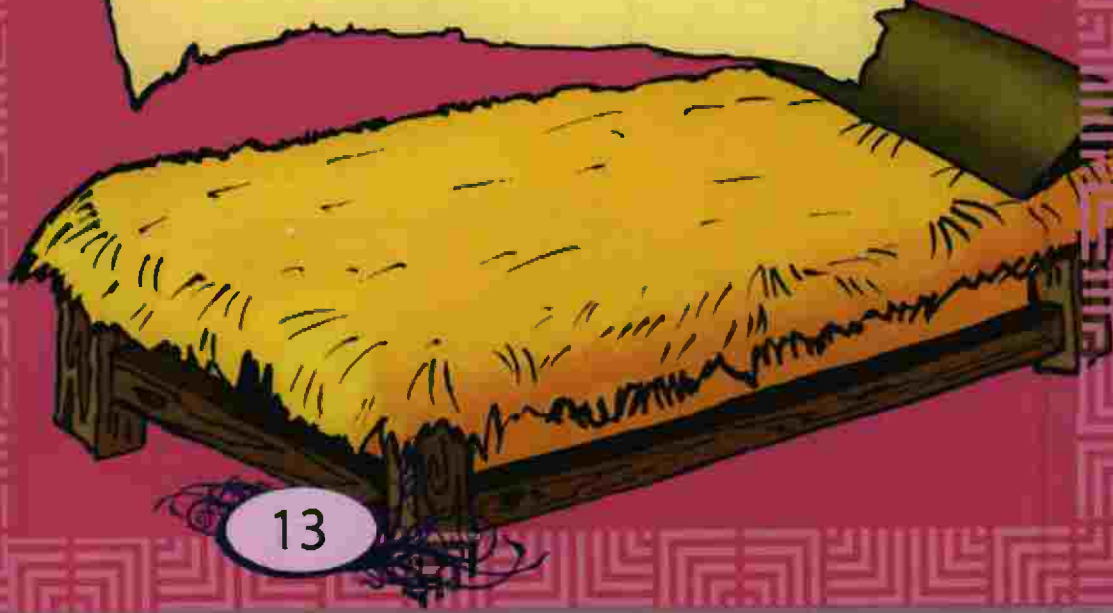

ذُو الْكِفْلِ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-

ذُو الكِفْلِ نَبِيٌّ بَعَثَهُ اللّهُ بَعْدَ أَيُّوبَ، وَ سَمَّاهُ ذَا الْكِفْلِ؛ لأَنَّهُ تَكَفَّلَ بِبَعْضِ الطَّاعَاتِ فَوَفَّى بِهَا، وَ كَانَ يُقِيمُ فِي الشَّامِ.

وَقَدْ قَرَنَهُ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ مَعَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي قُرْآنِهِ: ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَ ذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وَكَانَ ذُو الْكِفْلِ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- مِنَ الأَنْبِيَاءِ الصَّالِحِينَ، فَقَدْ كَانَ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ صَلاَةٍ، وَقِيلَ إِنَّهُ تَكَفَّلَ لِقَوْمِهِ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَيَكْفِيَهُمْ أَمْرَهُمْ، فَفَعَلَ فَسُمِّيَ بِذِي الْكِفْلِ.

إِدْرِيسُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-

أَثْنَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى نَبِيِّهِ إِدْرِيسَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَوَصَفَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالصِّدِّيقِيَّةِ فَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. وَكَانَ إِدْرِيسُ أَوَّلَ بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ بَعْدَ آدَمَ وَشِيثَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ. وَلَقَدْ مَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فِي رِحْلَةِ الْمِعْرَاجِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

إلياس و اليسع -عليهما السلام-

أرسله الله - تعالى - إلى أهل بعلبك غرب دمشق، فدعاهم إلى الله - عز وجل - وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلاً، فكذبوه، وخالفوه، وأرادوا قتله، فهرب منهم واختفى في غار عشر سنين حتى أهلك الله الملك، وولي غيره، فأتاه إلياس، فعرض عليه الإسلام فأسلم، وأسلم من قومه عدد كبير.

لما مات إلياس - عليه السلام - خلفه اليسع في قومه، وكان اليسع - عليه السلام - يدعوهم إلى الله، والتمسك بمنهاج إلياس وشريعته، حتى قبضه الله -عز وجل- إليه.